صور الغربة والحنين في الشعر الشعبي بمنطقة وادي سوف بين جمالية اللفظ وصدق المعنى

Images of alienation and nostalgia in popular poetry in the Oued -Souf region between the aesthetics of the words and the sincerity of the meaning

الدكتور: بن حمدة محمد الصالح

قسم اللغة والأدب العربي- جامعة المدية (الجزائر) -
salahbenhamda@gmail.com

تاريخ الإيداع: 2023/04/15 تاريخ القبول: 2023/11/02 تاريخ النشر: 2024/03/15

ملخص:

يعتبر غرض الغربة والحنين من بين الأغراض الشعرية الأكثر صدقا، حيث أن الشاعر غالبا ما يعيش تجربة حقيقية يعبّر من خلالها عن غربته وحنينه، والشعر الشعبي بمنطقة سوف عرف تنوعا كبيرا في صور الغربة والحنين، والتي تميزت بجمالية كبيرة في الألفاظ وصدق عميق في المعاني، وهذا من شأنه أن يؤثر في المتلقي، على اعتبار أن الشعر الشعبي قادر على إيصال الرسالة التي يبعثها الشاعر.

الكلمات المفتاحية: شعر؛ شعبي؛ غربة؛ حنين؛ جمالية.

Abstract:

The purpose of estrangement and nostalgia is among the most sincere poetic purposes as the poet often lives a real experience through which he expresses his estrangement and nostalgia. The popular poetry of the Souf region knew a great diversity in the images of alienation and nostalgia which was characterized by great aestheticism in the words and deep sincerity in the meanings This may affect the recipient, considering that popular poetry is able to send the message that the poet.

key words: poetry; popular; alienation; nostalgia; aesthetics.

1- مقدمة:

يعتبر الأدب الشعبي جزءًا من الهوية الثقافية للجماعة الشعبية، فهو ناطق باسم الشعب ومرآة عاكسة له، وهو ما جعله محل اهتمام واسع من طرف الباحثين والدارسين الذين سعوا لإبراز أهمّ معالمه والبحث في الدّلالات والجماليّات التي يحملها هذا الأدب، ويمثّل الشعر الشعبي مظهرا بارزا من مظاهر الأدب الشعبي، وذلك لما له من مكانة عالية وسط الجماعة الشعبية، لأنّه يمُسّ أغلبيّة فئات المجتمع، فيتحدّث باسمهم ويعبّر عن آمالهم وآلامهم وتطلّعاتهم ومشاعرهم وأحاسيسهم، فينسلخ من الذّاتية ويذوب في الجماعة ويحمل همومها، ومن هنا فإنّنا لمعرفة ثقافة شعب ما وأهم مقوّماتها يكون الشعر الشعبي سبيلا ميسّرا لذلك.

وبما أنّ الشعر الشعبي هو صورة المجتمع الظاهرة فقد عرف تنوّعا كبيرا في الأغراض والموضوعات التي تناولها، والتي لا تختلف كثيرا عن ما عرفه الشعر الفصيح، فنجد في الشعر الشعبي الغزل والرثاء والفخر والمديح وغيرها، ونجد الشعر الاجتماعي والدّيني والثوري وغيره وكذلك نجد غرض الغربة والحنين الذي يعبّر عن تجربة عاشها الشاعر فخلّفت في نفسه إحساسا صادقا جسّده من خلال أشعاره هادفًا بذلك للتّخفيف عن نفسه ومواساتها والتعبير عن حالته، فغربته ولّدت له حنينا جارفا إلى ما تركه وراءه فوجد في الشعر ملاذا ناجعا للبوح بمكنوناته، ومن هنا نطرح الإشكال الجوهري التالي: كيف تجلت صور الغربة والحنين في الشعر الشعبي بمنطقة وادي سوف؟ ثم ما هي أبرز العناصر الجمالية فيه لفظا ومعنى؟

وقد اخترت في ورقتي البحثية هذه التطرق إلى الشعر الشعبي بمنطقة وادي سوف الجزائرية والتي تزخر بموروث شفاهي كبير ينُمّ على المكانة العالية الذي يحظى بها التراث الشعبي الشفاهي وسط الجماعة الشعبية، ويعتبر الشعر الشعبي من بين الفنون الشعبية الأكثر رواجا بالمنطقة، حيث عرف غزارة كبيرة في النّتاج وتنوّعا ملحوظا في الموضوعات والأغراض، وانتشارا واسعا من حيث التداول الشفاهي، ورواجا واهتماما كبيرين في الأوساط الشعبية، وقد برز العديد من الشعراء الشعبيين قديما وحديثا وأثروا الساحة الشعرية بنتاج غزير ومتنوّع،

2– مفهوم الغربة

2-1- **الغربة لغة** : إذا حاولنا تتبع معنى كلمتي غُربة واغتراب في اللغة العربية نجد أن العرب استخدموها في لغتهم وأشعارهم وارتبطت دلالتها بالمكان والانتقال منه وإليه، حيث جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة (غ ر ب) "الغَرب: الذهاب والتنحي عن الناس وغَرُب عنه يَغْرُبُ غَرْبًا وغَرَّبَ وأَغْرَبَ، وأَغْرَبه نَحَّاهُ، والغُرْبَة والغَرب: البُعد والنَّوى، ويقال: أَغْرَبْتُه وغَرَّبته إذا نحَّيته وأبعدته"[1]، وجاء فيه أيضا "الغُربة والغَرب النُّزوح عن الأوطان والاغتراب، والغَريب هو

البَعيد عن وطنه والجمع غُرباء والأنثى غَريبة والغُرباء هم الأباعد والتَّغريب النّفي عن البلد "[2]، فهي تدل على معنى النوى والبعد، والتَّغرُّب: البعد، فالغُربة تدل على النُّزوح عن الوطن أو البعد والانفصال عن الآخر، ومن ذلك قول الشاعر زهير بن أبي سلمى:

ومن يغْترب يحسب عدوّا صديقه ومن لا يظلم الناس يظلم[3]

ويقول الإمام الشافعي:

ما في المقام لذي عقل وذي أدب من راحة فدع الأوطان واغترب[4]

كما ورد لفظ الغربة في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث قال عليه الصلاة والسلام في وصف اغتراب الإسلام والمسلمين: " **بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء** "[5].

ويمكننا أن أستنتج أن المفهوم اللغوي لكلمة الغربة في اللغة العربية دار حول الذهاب والتنحي والنزوح عن الأوطان والابتعاد.

2-2- **الغربة اصطلاحا**: تعد الغربة ظاهرة قديمة جديدة لم ترتبط بوقت محدد ومكان ثابت أو حقبة زمنية معينة، ومن البديهي أن هذه الظاهرة تزداد في لفترات التي يكثر فيها الاضطراب وعدم الاستقرار في أوضاع المجتمع سواء السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية، ومن تعريفات الغربة من الناحية الاصطلاحية "هي النزوح عن الوطن أو البعد والنوى أو الانفصال عن الآخرين، وهذا المعنى يرتبط ارتباطا قويا بالمعنى الاجتماعي الذي يوضح من خلاله أن هذا الانفصال لا يمكن أن يتم دون مشاعر نفسية كالخوف أو القلق أو الحنين تسببه أو تصاحبه أو تنتج عنه"[6].

ويمكننا أن نستنتج مفهوم الغربة عند أبي حيان التوحيدي عندما يقول " الغريب من لبسته خرقة، وأكلته سلقة، وهجعته خفقة، والغريب من غربت شمس جماله واغترب عن حبيبه وعذاله وأغرب في قوله وأفعاله، وغرب في إدباره وإقباله، واستغرب في طمره وسربال، يا هذا ! الغريب من إذا رأيته لم تعرفه، وإذا لم تره لم تستعرفه"[7].

وبين الغربة والاغتراب يمكن أن تأخذ الغربة أشكالا وأنواعا مختلفة، فإذا كان الاغتراب ماديا كانت الغربة مكانية وتسمى في مواضع أخرى الاغتراب عن الوطن، وإذا كان الاغتراب معنويا كانت الغربة نفسية تارة وفكرية تارة أخرى.

أما الغربة المكانية فتتمثل في البعد عن الأهل والوطن، اضطرارا أو اختيارا لأسباب مختلفة قد تكون اقتصادية أو سياسية أو حتى علمية أو غيرها " وما زالت الذهنية العربية من أبعد العصور كما هي بمقوماتها لم يبدل فيها الزمن كثيرا، فالعربي ما يزال يخشى فراق الأرض التي نشأ فيها ويحس بالحنين والغربة أينما اتجه، فالنفي يفزعه والغربة تضنيه"[8]، وسببها هنا أما اختياري أو اضطراري.

وهناك الغربة النفسية التي تنشأ عن عوامل عديدة متشابكة ومتداخلة "منها إحساس الشاعر بالتميز والعبقرية، ومن هنا جاء شعوره بالغربة بين الناس العاديين وإحساسه بعدم التكيف الاجتماعي والنفسي مع المجتمع الذي يعيش فيه ومنها المعاناة الذاتية لتجارب الحياة غير الموفقة، وخصوصا التجارب العاطفية"[9]، وما ينطبق على الشاعر هنا ينطبق على غيره من المبدين الدين يملكون شيئا ثمينا لا يملكه غيرهم من عامة الناس، والفرق بين الغربة المكانية والغربة النفسية يكمن في "أن الاغتراب في الأولى مادي ينشأ عن البعد عن الوطن والإحساس باللهفة إليه ، أما الاغتراب في الثانية نفسي يتصل بالروح المعذبة الحائرة"[10].

أما الغربة الفكرية "فتلتقي مع النفسية في أن كليهما غربة معنوية غير مادية، وتفترقان في أن الغربة النفسية موطنها القلب، وهمومها هموم الروح الظامئة إلى الاستقرار، في حين أن الغربة الفكرية موطنها العقل وهمومها هموم الفكر المتعطش إلى المعرفة المحترق شوقا إلى كشف حجب الغيب وهتك أستار المجهول"[11]، فالغربة الفكرية هي إحساس المرء بالغربة اتجاه ما يجهله من فكر ومعرفة.

ويجب أن نشير إلى أن أنواع الغربة والاغتراب كثيرة حسب الزاوية التي نراها منها وذكرنا هاهنا أنواعها بحسب نوع الاغتراب، ومهما تعددت هذه الأنواع فهي تصب في مصب واحد وهو الإحساس بالألم نتيجة الاغتراب.

3- مفهوم الحنين:

3-1- الحنين لغة: وردت كلمة الحنين في كلام العرب وأشعارهم وأخذ هذا المصطلح عدة تعريفات في المعاجم العربية، وبالرجوع إلى جذر كلمة "ح ن ن " نجدها من الفعل الثلاثي "حنن" فأدغم حرف النُّون فصار "حنَّ" يحنُّ حنيناً، ففي لسان العرب لابن منظور مثلا "الحنين الشّديد من البكاء، وقيل صوت الطَّرب كان ذلك عن حزن أو فرح، والحنين: الشوق وتوقان النَّفس والمعنيان متقاربان"[12]، وجاء فيه أيضا " وحنَّت الإبل إلى أوطانها أو أولادها، والناقة تحنُّ في إثر ولدها حنينا تطرب مع صوت، وقيل حنينها نزاعها بصوت وبغير صوت والأكثر أن الحنين يكون بالصوت"[13] والحنَّان من أسماء الله الحسنى، ويعني الرحيم بعباده، ومنه قوله تعالى

مخاطبا نبيَّه يحي "**يا يَحْيَ خُذ الكِتَاب بقُوَّةٍ وَءَاتينَاهُ الحُكم صَبِيًّا وَحَنَانًا مِن لَدُنَّا وكَان تَقِيًّا**"[14].

ومما سبق ذكره من التعريفات اللغوية للحنين نلاحظ أنها جميعا مرتبطة بالعواطف سواء كانت صوتا أو اشتياقا أو طربا، فالحنين يدل على الصوت والشوق والطرب والرحمة وتوقان النفس، ومما نلاحظه أيضا أن معناها الأصلي كان يطلق على الناقة ولكن تغيرت دلالاته لينتقل بعدها هذا المصطلح ليطلق على الإنسان.

2-3- **الحنين اصطلاحا**: الحنين في الاصطلاح له نصيب من اشتقاقاته اللغوية، هو الشوق واللهفة لكل عزيز على النفس قد بعد عنها، وهو بذلك شعور داخلي ينتج عن ألم يعانيه الإنسان نتيجة فقده أشياء عزيزة عليه، فالحنين بكل طاقاته "يعني حياة السرور والبهجة والفرح لأنه يجسد لحظة أمل يعيشها الشاعر في ساعة من ليل أو نهار، والحنين هو عاطفة سامية أودعها الله في الإنسان منذ الأزل وهي إحساس وشوق لولاها لقعد الإنسان عن آماله ونكص على نفسه"[15].

وارتبط مفهوم الحنين عند القدماء بالوطن والديار، وقد صنف الجاحظ رسالة في الحنين إلى الأوطان، وذكر فيها مجموعة من الأبيات لعدد من الشعراء في الحنين للوطن ومدى ارتباطهم بتلك الديار الذي مثلت لهم حياة وروحا ولكنهم هجروها وتغربوا عنها لأسباب عديدة، حيث يقول: "فاوضت بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار والنزاع إلى الأوطان، فسمعته يذكر أنه اغترب من بلده إلى آخر أمهد من وطنه، وأعمر من مكانه، وأخطب من جَنانه، ولم يزل عظيم الشأن جليل السلطان، تدين له من عشائر العرب سادتها وفتيانها، ومن شعوب العجم أنجادها وشجعانها، يقود الجيوش ويسوس الحروب، وليس ببابه إلا راغب إليه أو راهب منه، فكان إذا ذكر التربة والوطن حنَّ إليه حنين الإبل إلى أعطانها "[16].

ويظهر لنا أن الحنين إلى الأوطان ظاهرة إنسانية عامة لا يستطيع المرء التخلي عنها مهما بلغ رقيه الحضاري وتطوره المادي وسُمُوّه الروحي ومها بلغ من مراتب في السلطة، والجاحظ هنا ربط الحنين في رسالته بالوطن من حيث أنه السبب الرئيسي للحنين.

أما شعر الحنين فهو من الموضوعات التي تطرّق لها الشعراء قديما وحديثا، ويمتاز بالعاطفة الصادقة والأحاسيس الحزينة المتأججة، ويعتبر الحنين غرضا شعريا كالغزل والفخر والهجاء والمديح وباقي الأغراض الأخرى، ولكن قدامة بن جعفر قصر الحنين ضمن باب النسيب

حيث قال: "قد يدخل في النسيب التشوق والتذكر لمعاهد الأحبة بالرّياح الهابّة والبروق اللّامعة والحمائم الهاتفة والخيالات الطائفة وآثار الديار العافية وأشخاص الأطلال الثائرة "[17].

فالحنين يمتاز بالعذوبة والرقة والصدق العاطفي، كما نجده يُخيِّم عليه الحزن والإغراق فيه والشفافية والصفاء في إظهار الأحاسيس والانفعالات وتصويرها، وغالبا ما تكون عاطفته صادقة جياشة وكل هذا نجده في الشعر بشقيه الفصيح والشعبي، إذ أن الحنين في الشعر الشعبي لا يقل قوة على نظيره في الشعر الفصيح.

ومن شعر الحنين نورد مثالا للشاعر المخضرم عباس بن مرداس السلمي، والذي مثَّل هذه الظاهرة حيث يقف على أطلال الحبيبة الراحلة وقد حنَّ إليها فيقول[18]:

يا دار أسماء بين السَّفح فالرُّحب أقْوت وعضَّى عليها ذاهب الحُقُب

فما تبيَّن منهـــــا غير مُنتقـــــد وراسيات ثلاث حـــول مُنتصـــب

وعرصة الدَّار تستنُّ الرِّيـــاح بهـا تحنُّ فيها حنيــن الوُلَّه السُّلُـــب

دار لأسمـــــــاء إذ قلبي بها كَلِـفُ وإذ أُقرِّب منهـــــا غير مُقتـــــرب

مثلما رأينا أنواع الغربة فللحنين أيضا أنواع، منها الحنين إلى الأهل والوطن والذي يتمخض عن ترك الإنسان لوطنه وحياته بين أهله، وهناك الحنين إلى الماضي الجميل حيث يعيش الإنسان حاضرا سيِّئا فيعود إلى الماضي ويتذكره ويسترجعه ويسعد لذكراه، وقد يكون هذا الماضي سعيدا فيزيد بذلك حنين المرء إليه، حيث كان فيه راحة واستقرار وشباب يقابله في الحاضر اضطرابا وحزنا وشيخوخة، وكذا قد يكون الحنين إلى المحبوبة التي يتذكرها المرء فيحنُّ إلى أيامه معها ولذكراها الجميلة، مثلما يكون الحنين للأصدقاء والخلان.

بعد أن تعرفنا على المفهومين اللغوي والاصطلاحي للغربة والحنين، نلاحظ الارتباط الوثيق بينهما على اعتبار أن الأول يؤدي حتما للثاني وأنهما متداخلان ومتعلقان بالعاطفة الإنسانية فالغربة هي المنبع والدافع وراء الشعور بالحنين للشيء المفقود، سواء كان الوطن أو الأصدقاء أو الحبيبة، فلمَّا أحسَّ الشعراء بلوعة الغربة ومرارة الفراق لما سبق ذكره لهجت ألسنتهم بشعر يعبر عن خلجاتهم ومشاعرهم وأحاسيسهم، ففاض حنينا ورقة وعاطفة وهكذا فإن شعر الحنين هو المظهر الخارجي للانفعال النفسي الكبير وهو الشوق للشيء المُفارق.

4– مفهوم الشعر الشعبي :

لقد تعددت تعريفات الشعر الشعبي نظرا لتعدد مسمياته، والدارس للشعر الشعبي يصعب عليه الوصول إلى تعريف دقيق، ويرى بعض الدارسين أن الشعر الشعبي ما ظهر إلا بعد أن فسدت اللغة العربية ودخلها اللحن وانتشرت العامية انتشارا واسعا وابتعد الناس عن الفصحى فيقول التّلي بن الشيخ: "إن الشعر الشعبي يطلق على كل كلام منظوم من بيئة شعبه بلهجة عامية تضمنت نصوصه التعبير عن وجدان الشعب وأمانيه، متوارثا جيلا عن جيل عن طريق المشافهة وقائله قد يكون أميا وقد يكون متعلما بصورة أو بأخرى مثله مثل المتلقي"[19]، وتشير نبيلة سنجاق إلى اختلاف اللهجات وفقا لاختلاف المناطق الجغرافية في تعريفها للشعر الشعبي، فتقول: "هو فن من الفنون الأدبية يعبّر به النّاظم عن حالة فردية أو مأساة اجتماعية بلهجة خاصة توحي إلى رقعة جغرافية ما"[20].

كما أن الشعر الشعبي يتميز بالقوة في الانتشار وجلب اهتمام الناس به، وربما يعود سبب ذلك لعفويته وبساطة لغته وتعبيره عن همومهم وتطلعاتهم دون تعقيد، فهو صورة حقيقية لهم "إن الشعر الشعبي يعرف بين الناس وينتشر لتعبيره عن أحوالهم اليومية وهمومهم في مناسباتهم العامة والوطنية، ... والملاحظ أن مؤلفات المبدعين من شعراء العامية تتضمن نظرة شمولية تمتد إلى الإنسان والحياة ومشاكلها، والتاريخ والمواقف الوطنية، والارتباط بالأرض والطبيعة وتمجيد الرحلات الوطنية والعلمية والفكرية، والاهتمام بآثارهم وبطولاتهم ومؤلفاتهم دون اعتقال للفنون الأدبية الأخرى يشارك فيها جميعها مع الشعراء النخب"[21].

ومن هنا تتضح لنا أسباب اهتمام الجماهير بالشعر الشعبي والإقبال عليه، فهو يعتبر ذاكرة الأجيال المتعاقبة وهمزة وصل بينهم وبين ماضيهم، وتمكن من الصمود ومسايرة الأجيال المتعاقبة وواكبها عبر الزمن مسجلا تاريخها وبطولاتها ومبرزا قيمها وعاداتها وتقاليدها.

5- صور الغربة والحنين في الشعر الشعبي منطقة سوف:

من خلال دراستي لغرض الغربة والحنين في الشعر الشعبي بمنطقة سوف يمكنني استنتاج مجموعة من الصور والحالات لهذا الغرض، وسأحاول توضيح أبرز هذه الصور مستعينا بالشرح والتمثيل لإبراز جمالياتها ودلالاتها:

5-1- الاغتراب عن الديار: تُعدّ الغربة ظاهرة إنسانية عرفتها كل الشعوب قديما وحديثا، ولقد تعدّدت أسبابها وتنوّعت، و أهل منطقة سوف كغيرهم من الشعوب عرفوا الغربة وعانوها وتجرّعوا مرارتها قديما وحديثا، فكان الشعراء الشعبيون بالمنطقة يعبّرون عن آلامهم وآمالهم

بعيدا عن الوطن والديار والأهل والأحبة، فيذكرون حياتهم المُؤلمة بعيدا عن ديارهم، ولقد تعددت أسباب الغربة عند الرجل السوفي، فهناك غربة اختيارية وأخرى إجبارية، ومن الغربة الاختيارية نذكر السّعي وراء طلب الرزق والحرص على طلب العلم، وكذا الذهاب للجهاد ضدّ المستعمر الفرنسي، أمّا الغربة الإجبارية فمنها السّجن ومنها النّفي وكذا الهروب خوفا من الأذى الذي قد يتعرضون له من طرف ما، ولقد أبدع الشاعر الشعبي بمنطقة سوف في التعبير عن غربته وآلامه التي تُولّد له حزنا عميقا على ما تركه في دياره.

فهذا الشاعر الشعبي "علي عناد" وهو بغربته بولاية ورقلة وبقدوم عيد الفطر المبارك لم يتمالك مشاعره المتدفّقة بعيدا عن دياره، فنظم هذه القصيدة ليواسي نفسه ويخفّف من لوعة الغربة والبُعد، فيقول:[22]

بسم الله ابديت هذي الأغنيـــا على النبي صلّيت كل مساء وصباح
الناس اكّلها معيده في الحرّيّـــا وهذا هو اليوم مغفـره وسمـــــاح
ونايا محتـــار نـــاري مقديـــا جرالي مثل الطير مكسور الجنـــاح
داخل بحر الهـــم من داري بيّا حالي مثل الباخرة وسلطان أريـــاح
من كثر الدّمـــوع حسّت عينيّـا قلبي بالزّيّار غدّيـــت المفتـــاح
راني نرجا فيك يا عالي العليـــا إنتا الّي قسّام في الدنيـــا لربـــاح
زعمه يا أله اتـبرّدش الكيّـــا أتبدّل ليّامات بنهـــارات سمـــاح
وينـك يا مجيب هزّيـت اديّـــا رجّع كل غريـــب لبلادو يرتـــاح
نختمها بصـــلاة خاتم لنبيّـــا محمّد شفيعنا يهـــز الّي طـــاح

والشاعر "الهادي جاب الله "يعبّر عن قسوة الغربة وآلامها ويتذكر الحي الذي نشأ فيه وهو زاوية سيدي عبد الله وتلك الأيام الجميلة التي قضاها فيه والتي لا يمكن أن تمحى من ذاكرته مهما بلغ من الكبر عتيا، فيقول:[23]

خوتي ملّيت من الغربة طَم الكُربة نخدم لا تنفعش الهَربة
لا قَـــــــدّيـــــت نبطل مانخدمش عْييت
مِسّـــرّح نـمشي للبيـــت ونولّـــــو صُربـــــة
بايت نضّجّر من الغربـــة خوتي ملّيت من الغربـة
شاهي قِعده مع لـــولاد في سوق الـــــــواد
جِملتنا حْنـــايا ومُقـــداد جِملتنا نديرو ميعـــاد
بِفْراح وطُـــربـــــة في زاويتنا تحت القُبّـــه

خوتي كي نخرج من وطني نِكـــبس بطنـــــــي
نتوكّــل ع الي هبّطنـــي تبكي الوالدة الّي جابتني
وجميـــع القُربـــــى وأحبابي وأندادي صُربـه

أما الشاعر "البشير الزغدي" فيعبّر عن غربته حين تمّ تجنيده في الحرب العالمية الثانية تجنيدا إجباريا، فيقول:[24]

تغرَّبت في بَرْ لامن مْعايا عنيف طال دايا وعامين لامن عرف لي وهايا

تغرّبت في بر شِين القُـــور غريـــــب بـــْــرور
وغيمه على الرّمل حيَّف ادور يِقْمِز كِما ريم شـــارد نُكـور
بابور معجول بيــن لبحـــور والسِّـــــفايـــــن ادّور
وجاته سلاطين من كل شــور رْكبه ولد عـــاتي نُغـُــور
ومُـــــــولى مِــزايـــا يحدّر على القُوم تبقى شِلايـا
غريب وطن ومْحَلّه نِصــارى كْـــلاب النِّكـــــــاره
كفّار اطَرِجمو زي كُـــــوارى حلّوفهم عاد عامل زكـــاره
اِرقِّـــــد أزهـــــــاره يِبني على الرّيح تمشي خساره

2-5- غربة السجن: من صور الغربة نذكر غربة السجن الذي يُزجّ فيه الإنسان لسبب من الأسباب، وتعدّ هذه الغربة غربة جبريّة لا اختيارية، وفي كثير من الأحيان تطول هذه الغربة ولا يعرف الإنسان مصيره، وما يتميّز به الشاعر عن غيره في هذه الظروف أنه يمكنه أن يستخدم شعره كوسيلة للتّعبير عن غربته في سجنه، فتهيج عواطفه وأشجانه ويَنتج عنها مقطوعات شعرية وقصائد جميلة يواسي بها نفسه، وقد تصل إلى أهله فتخبرهم عن أحواله وما حلّ به.

وأحد الشعراء الشعبيين قديما زُجّ به في السجن بتهمة المشاركة في الثّورة التّحريرية، فتذكّر أهله وعشيرته فراح يكتب لهم الرسائل يسألهم عن حالهم وحال وطنهم، وهي قصيدة متدفّقة الأحاسيس شفّافة المعاني، يقول فيها:[25]

وِشْ حال حالكـــم يـــــاوَدّه رخاء وطنكم ولا عليكم شِـــدّه
عن حالكـــــم نبُّونـــــــي وبجواب بعد الشِّقا هنّونـــي
سهراني لا جاشي النّوم لعيوني اتواحشتكم صُعبت عليّا الـرِّده
لا صبت نوصُلكم ولا تجونـــي وهذا اجوابي رجعولي ضِمـْـده
عن حالكـــــم نَشّـــــــاده وعن حالكم نِنشد ونزيد بزيـاده

كيفاش العبد ينسى ابـــــلاده وهذا مكتوب كيف ارباط العـدّه
والمكتوب اليوم علينا نـــــاده حطنا في جرجوف وصعبت الّده
قِدا بلادكـــــم وما فيهـــــا وقِدا جبالها واعبادها بالعـــدّه
اجوابي ايجي للوالدة اهنّيهـــا اِبِلْ ريقْها بعد العطش يِتنـــدّى

أما الشاعر الشعبي "سعد عتيق الوصيف" فقد كان في السجن في الزاوية الكحله فعبر عن غربته في السجن بهذه الأبيات:[26]

رقاريق وحمادات دون بلادي لا كلب ينبح لا صغير انـــادي
جبـــــل واوعـــــــاره خَاتي الخَلا لا فيه حتّى اعْمـاره
لا تُسكنه عُربان لا سَجَّـــاره وحَيّه تْسخِّف ما في هَا لبْعادي
زْقِيت كِدوَه عالية وطويلـــه وعيّطت عن ساكن جبل بلادي
وابْعِدْتـــــــــونـــــــي الوِحش طوّل جَار يا مضنونـي
لا جواب منكم نُنظره بعيوني أمّك ومريم يبعثو من غـــادي
جوابـــــــي وصلكـــــم واش حالكم وأحوالكم وأهلكم
الحي اروّح يا علي يوصلكـــم ما تَيْسُو كان لْسِكَنْ لَلْحَـــادِي

وعندما كان الشاعر "إبراهيم بن سمينه" في السجن في سوسة أو في الكدية بقسنطينة على خلاف بين الرّوّاة بلغه أن ابنته تكثر من السؤال عليه فقال :[27]

باباك يا سِلِسْ كاحل أنظـاره غابت أخبـــاره مربوط في الحبس عند النّصارى
باباك يا سلس كاحل أصهاده مُفَـــارق أولاده مربوط بين البحر ولحـــــداده
والعبد لْيَا كان مُـــولاه راده المكتوب جابـــه لا يمنعه لا سِخا لا جِـــــواده
أَنِي حِرت والنُّوم حارم زْقـاده عيـوني سهـارى المكتوب في الرّاس نِزلوا أسطاره
باباك يا سلس سمح الدّلايـل وَحْشَهْ تِهايـــل دمعي على راس خدّي تسايـــل
يا قَعِدتك في الدّرك والعلايل وصهد القوايـل أَنِي مْنابْتي فوق مَـــدُّوب هايـل
مْنَعّـــــــل أظفـــاره أزرق حجـر وَادْ دَارَهْ بْـداره

وكان الشاعر "مبروك الحجامي" قد سُجن "بتازولت" بباتنة وطالت مدّة سجنه ولم تعد تصله أخبار أهله فعبّر عن ذلك بقوله:[28]

جبل باتنه وعْـلاه دَاير بينـــا لا جواب يِمشي لا خَبر اجينـــا
طـالـــــــت المـــــدّه ولازم علينا السّابْقة تِتعـــدّى
وقت الّي جاني عْمُر هُوْ وْبِـــدَّه تِفكّرت حُـومة ناسنا وغَاشينا

جبـــــل وهْنـــاشِيـــــره وجَت واعره وتْكيد في التّحديره
وجت دونهم ناس الّي نادو شِيره ولا تَيْسِي مْنِ ابَّاك رَانـا جِينـــا

3-5– البكاء على الأطلال وبقايا النّجع: كانت طبيعة الحياة في بادية سوف شبيهة كثيرا بطبيعة الحياة الجاهلية، حيث كان البدو يتنقّلون من مكان لآخر سعيا وراء الكلأ والماء، وبطبيعة الحال فإنّ هذا الرّحيل سيُخلّف وراءه حنينا جارحا لتلك الأيام الخوالي التي قضوها في ذلك لمكان، وهذا الموقف يذكرنا ببكاء الجاهليين على الأطلال وتذكّرهم للأحبّة والأيّام الخوالي، ونفس الشيء تقريبا نجده عند مجموعة من الشعراء الشعبيين بمنطقة سوف، حيث أنّ الشاعر منهم يقف أمام أطلال أهل محبوبته بعد رحيلها ويصف المكان ويتذكّر أيّامه الجميلة ويُعبّر عن لوعته وحزنه لفراقها، وذكر المكان غالبا ما يُهيّج في النّفس أشجانا وأشواقا إلى زمن ماض جميل، فبئر الماء وبقايا الخيام والأدوات المستعملة وأثار الحيوانات وتفاصيل بقايا النّجع هي المحرّك الأساسي لمشاعر الشاعر وأحاسيسه، فتعود به الذّاكرة إلى الزّمن الذي عرف حركة ونشاطا كبيرا في هذا المكان.

فهذا الشاعر الشعبي "علي عجيبة "يصف رحيل النجع وما خلفه وراءه من أشياء تبقى تذكّر كل من رآها بتلك الأيام الخوالي، فيقول:[29]

النّجع لْقَبَّلْ هَزْ أدْباشـه خَلَّفْ اشْويّه من نَاســه
خلّـف جِيفَـــــــانْ ناس تْقَـمّنْ وِعْرُوبـــــه
إمّـَالي حِيـــــــوانْ الكُل اعِــزّو السَّبُّوبَــه
تَبـقَـــــى بْلامَـــــانْ بْنَ آدم بِدّي مَكتوبـــــه
أهـل الخيـر تْبَـــــانْ وَمْوالَه نْعَلّي لَهْ سَاسَــه

أما الشاعر "علي بن حامد" وعند وقوفه على بئر "الجهلي" وهو موضع كان لقبيلته أقاموا به فترة من الزمن ثم تركوه لمّا جفّ ماؤه فتذّكر تلك الأيام وصوّر لنا شكوى هذا البئر بعدما فارقه "الحوامد" وكأنه حنّ واشتاق إليهم، فيقول:[30]

الجُهْلي تِوَحَّشْ والحَوامد صَدّوا كان صِيفْته كل يوم عَنَّه ايْـرُدّوا
كِـلاتَـــــه الـزَّمّـَــــــه وْرَيَّم عليه الرّمل غَطّى فَمَّـــــه
امَّالي الشَّجاعه والسِّخا والهِمّه لْكَـانُو عليه امَـدِدّو ويْـــــرُدّو
مْنِ فْرَاقهم رُكْبَت عَليه الحُمَّى جْرَالَهْ كِما لْفَسْطِ القْبُور تْمَـدّو

ويعبّر الشاعر "عباس بوشهوة" عن حزنه لفراق محبوبته التي رحلت وتركت ديارها، تاركة وراءها ألما وحزنا شديدين لديه، فيقول:[31]

عِيني بَاتت حَايْـــــرَه	طُول الليل بْغِير هْجِيعـه
عن من ساقْ رْحايلَــه	اِطّوَّحْ في شَاوْ التِّنْجِيعـه
غَبَّى الرّيــح جْرايـْره	مَهمُوده وبْلادُو وْسِيعــه
عيني من لَصْهْـــــاد	باتت طول الليـل تْوَجّب
حبيبي الّي يِنْـــــزار	يَا مَا شَطْ فْرَاقَه يْعَـذّب
هَزْ مْنِ الغُـــــوَّار	وجاب مْنَاد القُبّه وسَرّب
خَلّى كَان الـــــدَّار	ومْصِيفَه مْنِينْ كان مْزَرّبْ

والشاعر علي عناد يصف حاله بعد فراق محبوبته فيقول:

ساهر طول الليل بايت في حاله	فِقَدِت خْيارْ الجِيل بنت الرَّجّاله
ساهر انخمّم في التّعب في حاله	سهران لا نَهجَع رْقَاد النُّـــــوم
سِبَبْ دَايْ مِنْ هِيْ نَاسها رَحّالـه	اِنْسَاق نَجعهم سَقْدْ عزم اليـُوم
مَرحُولهم حَوَّشْ وسَاف جْمالـه	بِجْحاف تِتْمايل على المَخْـــزُوم

أما الشاعر "الصغير قدور" حينما رحل نجع محبوبته مبروكة فاضت مشاعره بالحنين إلى الأحبة لأنّ المرحول ضمّ فتاة تعلّق بها قلبه وأحبّها، فيقول:[32]

رِحَل نَجع مَبروكه كِحيل أنْظاره	فِرَقْ نَزِلْتَه وْخَلَّف بِلابِصْ نَـاره
فِـــرَقْ بْـــــــــــلادَه	فرق جِهْته وخَالَف عَلى مُوراده
قِصَدْ بَرْ ماعِنْداشْ فيه احْدَاده	يْبَانْ في الحَمادة مْغَبْرَه غْبَّـــارَه
رَحـــــــــلْ مْشَـــــرّقْ	وْشَيَّعِتهـــم حتّى عَلَـــيَّ اِدَرَّقْ
وهَذا شَبِحْهم غِيـر عَنّـي اِدَرّق	وبَايـن على عِينه وخَيَّب حَالــه

4-5 – الحنين إلى الأهل والأولاد: يُعدّ الحنين إلى الأهل والأولاد من أصدق صور الحنين وأكثرها آلاما وحزنا ووقعا في النفوس، وذلك نظرا لقوّة المشاعر التي تربط بين المرء وأقاربه عموما وأهله وأولاده خصوصا، وقد عبّر عدد من الشعراء الشعبيين بمنطقة سوف عن هذه المشاعر والأحاسيس التي تنتابهم عند فراق أهلهم وأولادهم، سواء كان ذلك بعد اغترابهم أو اغتراب

أبناءهم أو لأسباب أخرى حالت دون لقاءهم بعضهم البعض، وهنا تبرز لنا جمالية هذه التعابير وصدقها على اعتبار أن الشاعر في العديد من المناسبات يذكر اسم ابنه أو ابنته الذي تغرب عنه، وهي من ميزات الشعر الشعبي بصفة عامة.

يقول الشاعر "عمار بن صالح الغريسي" الذي فارقه ابنه العيد وتغرّب عليه، ولم يعرف مكانه فغمره الحنين والشوق:[33]

مَالَاهْ يا قلبي غَدِيتْ رْمَـــاده كَان البِكَا عِندي صِلا وِعْبَاده
نِبكـــــي دِرَقْـــــــه تِلايِم عَلَيَّ الوِحِشْ زَاد الفُرْقه
والعِيد وَلّى دَار فِيّا مَرْقَـــه نَشَّشْ عَلَيَّ كْلاب كُل حْصاده
في وسط قْلبي دايِرْلِي حَرْقَـه تَشْعَل وْتَرْقَى نَارها وَقَّـــاده
نبكـــــي رانـــــــي كل يوم دِيمه في الهموم نْعاني
علّي شِقّاني في الدّرك خَلّانـي حَرّم عَلَيَّ النُّوم وقت رْقــاده
في وسط قلبي شاعله نيراني وهِفِتْ ومْرُضِت على لُوسـاده

أما الشاعر العلّامة " إبراهيم بن عامر" فعندما كان بالغربة بأولاد جلال ببسكرة تذكّر أهله وخاصّة ابنته يمينه ففاضت شاعريته بالحنين والشوق وقال:[34]

يَا المَاشِي للشَّرقْ دِيرْ مْزِيَّه سَلِّم على يَمينه لَعْزيزه عْلَيَّـــا
سلّـــم على يمينـــــه وقْلُلها وَقْتَاه بَـــاش تْجِينـــا
وقتاش اِطُلّي علينـــا رانا تْواحِشناك يا العِضْوِيّـــه
راهـو جايّك عمّـــــكْ مَرسُول من الشيخ وأخْتك وأمّك
هُوّ الّي اجَلّي هَمّـــــك يُخْلِط لِيك صْباح ولاّ عْشيّـــه

ومن النساء الشاعرات نذكر الشاعرة "مريم لعبيدي" التي اشتاقت إلى ابنها وهو بغربته ودعته للعودة للوطن، ولكنّها استعملت رمزا خاصّا وهو "الغوط" كوسيلة لإيصال رسالتها لتعبّر بذلك عن حنينها لابنها وحنين الغوط إليه أيضا، فتقول:[35]

غُوطِك زِدَمْ يا شيخ هيّا ولّـي الله يجعلك فُوق العَدا مِتْعَلّي
زدم بِغْـــــرُوســـــه الذُّكّار والدّقْلات والبَرنوســه
والحَرِث يبكي نُوبْته مَحْصُوصه وِالوَالْده مْرَايِفْ عَليك تْغَنّي

ومن ذلك أيضا تذكر الشّاعرة "مباركة المصباحية" التي وبعد أن تزوّجت ابنتها في مكان بعيد غمرها الحنين والشوق إليها فقالت :[36]

رَحَلْ نَجَع مِطّوّح بْسُود هْذُوبه مْنِ فْرَاقْها نْحِسْ كَبِدْتي مَشغوبه
رِحيلـــــــه شَـــــــرَّق ونِشْدوه قَفّى اِنْزَاح عَنّـــي اِدَّرَّق

وْلَا يِرْبَحْ المكتوب فِينا يْفَـــرّق إنْتي غَارْده وْنَا بَايْتَه مَكْبوبـــــه
بْعِـــــدْ بِهْبَالـــــــــــه تِطَوّحْ عَنّي بْشَبِحْته وِخْيَالـــــه
فَاقْد غَزال الرّيمْ بُوسَيَّالـــه مَا صَار فِيّا يَا كِحيل هْذُوبـــــه
الصِّغير مِن هُو يْعَدّي هْبَالـه وِنْتِي عَلَيْ رِحيلك بِعيدِةْ جُوبـــه

أمّا الشاعرة "أم الخير ظريف" فقد اشتاقت إلى ابنها مبروك الذي يدرس بالزيتونة وأرسلت إليه بعض المال، فتقول: [37]

سَلّمْ على مَبروك هَا يَا نْصِيـــرَه كَنْزِ الذَّهب لْدَاسَّاتَـــه ذْخِيـــره
القلب عَنَّـــــــه حَايِـــــــر وما صُبت من يِمشي لْصُوبه غَايِر
عَنّي العَسَسْ رَايْ حَاطّه بِالدّايِر والوَطِن في شِدّه وْقَلَق وْحِيـــره
صُبت رُوحي كي الحَمام اِطّايـــر كَنْ نِخْفِقْ انْدير جْناح كي الطِّيره
لا من عَليـــــه خَبّرْنـــــي من صُغُرته طَايِع وْجَا مْقَدّرْنـــي
عَارِف كِتاب الله مَـــا غَيَّرْنـــي وِادْعُو عَلَيْ بالخِير كُل تِفْكيـــره
رَاهي دِعَاويكُم تْزيـــدْ تُنْصُرنـــي رَوْيَان مِنَّه الجَم صَـــافي غَديـــرة

ويعبّر الشاعر "محمد الغولي الشّامسي" عن اشتياقه لوالديه وأهله فيقول: [38]

فْرَاقْ وَالْدي وِالوَالده مَامَـــرَّه بْلَا عِيب فَارَقْنا الزّمان ايْغُـــرَّه
فْـــــــراق اللّامَـــــــه فراق وَالدي مَضْيُوم قلبي ضَامـه
وْرَقّيت كِما رَقْ الحَرير في اِقْيَامه صَهِدْ لَاطْنِي مِقْباسْ يَا مَاحَـــرّه
الوِحـــش وَاش اِطِيقَـــــه صَهِد لاطني وِالفَمْ يَابس رِيقَـــه
لا عِيب لا رُقْعَه عْمَاهُم ضِيقَـه مْنِ الوَقت خَيَّب حَالنا في مَـــرّه
لا نَجِحْدُو وْلَا تَنْفَعْ التّدْرِيقَـــه وَاش حَالْته مِنّه غَـــنَى وِتْعَـــرّى
الوحش يِبْغِـــي رْجَالَـــــه صِعيبْ بُضُعْ مَايْطِيقَاش إلّي وَالَى
تِماثِيل مِنْ عَايِمْ غَرِيقْ الجَالـــه وْهُوشْ البَحر من يِجِبْدَه وِيْكُـــرّه
وْمِنْ آشْ وَاحد طَاح في زِنْدَالـــه وْلَاخِر رِقَا لِلْعَالْيَـــات البَـــرَّه

ويطلب الشاعر "صالح بن عثمان شوشاني" من أبناءه أن يقوموا بزيارته بعد أن تغيّبوا عليه لفترة طويلة فزاد حنينه وشوقه إليهم ، فيقول :[39]

لَثْنِينْ دُورْ الحُول جُونَا ايْطُلُّـــو مِنْ عِنِدْنَا هِزُّو السّلام أُوَلّـــو
هِـزّ السّـــــلام الشَّافـــــي عْلَى الغَالِـفْ الْعَامِينْ طَال زْيَافي
وْنِحْسَاب قَلبي مِنْ ڤدَاهُم صَافي وِانْتُم جِفِيتُو مَا بِغِيتُو اِطُلّـــو
نِي كْبِرِتْ عَاد قلبي رِڤيڤْ وْهَـافي بْلا يَڤِضْتِي نْحِسْ لِهْذُوبْ تْبَلّـــو
بلا يڤضتي اِهِسُّولِـــــــي بلا يڤضتي نُوع المِنام اِجُونـــي
وْلا دِرِتْ لِلْكُم عِيب لا تْكَافُونـــي ولا تْحُزت مِنكم من قِبُول تْمِلّـــو

أما الشاعر "الهادي الذّهبي" فقد اشتاق إلى ابنته بُرنيّه وإلى حياة البادية وهو في المدينة بعد أن أرسلت إليه ابنته برنية تدعوه للحضور، فيقول:[40]

خُطّار سَالـولي على بُرنِيَّـــة كُثِر الجِفا والوِحش طوَّل بيّـا
دَزّيـتيـــــــلِـــــــي بَعَثْتي عْمَا الخطُّار وِتْراعيلـي
وْرَاوْ قَلِب عِندي لا بِقا يَرْعيلي حَايِل بْجِيلي لا بِقالي نِيَّـــــه
تِفَكَّرِت سَعْيِي وْطَالت مْرَاحيلي وِبْيُوت عَن رَاس السِّطَح مِبْنيّـه
سِلامـــــي عَنكـــم سلامي بْعِد نْقِيم في مْنَازِلْكُـم
وْعَنكم سلام نْجُوعكم وِنْزَلكم وعنكم سلام النَّاحية وِالفَيَّـه
لُوكَان جَا عِندي خَبَر نُوصُلكم ونِكِتْبِلْكم بْرِيشِـة البَرّيَّـــــه

5-5– **الحنين إلى أيام الشباب**: الشباب هو الفترة الزّاهية بالنسبة للإنسان لأنه يكون عادة في كامل صحّته وحيويّته، ومن الطبيعي أن تبقى هذه الفترة راسخة في ذهن الإنسان بعد تجاوزها فيغمره الحنين إليها وهو في شيخوخته ويتذكّر أيامه الجميلة التي قضاها في شبابه وهو بذلك يتحسّر على حاضره الأليم مقارنة بماضيه الجميل، فيعبّر الشاعر عن حنينه إلى شبابه ويسجّل في قصائده هذا الشوق والحنين وكأنّه بذلك يوجّه رسالة إلى الشباب يخبرهم فيها بضرورة استغلال شبابهم أحسن استغلال قبل النّدم على ضياعه.

فالشاعر الشعبي "الصليعي لعويني" يعبّر عن حنينه لشبابه وهو في شيخوخته بعدما تذكر الماضي، فيقول :[41]

رَسَّى عَلَيَّ الكُبر حَط أثْقالـــــه والقَمَحْ لْيَا سَوَّسْ يْوَلّي نْخَالـه
رسّـى على مَكنُونـــــــــي وْراحِت عَليَّ صُحتي وعْيونـــي
مْنِين كُنت بَكري النَّاس يَعِرْفوني صَيَّاد مَانِيشْ مْنِ الزَّمَّالـــــه

خَشّيت بَرْ اِلَّا يْخُشّه دُونـــــي كُونش غَزال الرّيم بُوسَيّالــه
مْنين كانت فِيّــا الصُّحّــــه من البِعِد وِين الدَّارجه نَشْبَحّا
رَافِع اتْساعي اِمَّيْله مَا اسْمَحّـا بِزْنَادْ فيها ما يْقُولِـــش لَالَا

أما الشاعر "الطيّب بادي" فيتحسّر على أيّام شبابه الذي ولّى بلا رجعة، فيقول:[42]

فَاتُو أيّام الصُّغر ما نَنساهـــم والكُبر هُو والمُوت كي بَعضاهـم
قْدّاش بَكري جْريـــــــت وقْدّاش رُحت مْعَ لِلاح وْجِيـت
وقْدّاش بِعِت مِن غنم وشْريـت وِلْيَفزعُو فِي الشَّاوْ دِيمه عْماهـم
واليوم حتّى ع الضّلاة قْـسيت الرّجلين ولُّو قاصرات خْطاهـــم

5-6– الحنين إلى شيوخ الزّوايا: لقد كثرت الزّوايا في منطقة سوف وأبرزها الزّاويتين القادريّة والتّجّانيّة، ويعبّر أتباع كلّ منهما عن حبّهم وولائهم لشيوخها، ومن بين ما يعبّرون به عن ذلك ذكر حنينهم وشوقهم للقاء الشيخ والاستفادة من كراماته، فهو يمثّل لهم القدوة والمرجع بالإضافة إلى معتقدات أخرى، وما يهمّنا هنا هو هذا الحنين الذي يغمرهم للقاء شيخهم، وهذا ما وجدناه في بعض القصائد الشعرية الخاصة بهم، ونن لا ندري إن كان هذا اللقاء في اليقظة أو في المنام.

فهذا الشاعر "معمّر بن سعدة التغزوتي" يتمنّى رحلة لمدينة فاس لملاقاة شيخة الذي اشتاق له، فيقول:[43]

حَيَّر مِنامي بالسَّهر لَالي فَتْـــره شَيَّنْ حالي والبِدن دَايِم فَانيـــهْ
يُثْقُبْني مِشعال وِدْمُوعي مَطْـره ويُعرضني حَمّال في الكَبده صَاليهْ
هَبّلني تِفكار عن قلبي يَطـــرا بالمِحنَه مَحْزون حتّان نْلاقيـــه
وِطنُو جاني بْعيد لا عندي قدره ظَهْرِة تَازه شُور نا سِرّي نِحكيـــهْ
لِلفَاس المَعلوم سَهّلّي الخَطــره بها تْفرّح خاطري مَحبُوبي فيـــهْ
عن بابه نِرتاح نُطلب يا فُقْـرا سَعِد الّي أتاه بالخيـــر إجازيـــهْ
يا التِّجاني بْليت مَاعُدتِش نَبـرا نِتْلَذّذ بِغْرام لا بديـــل عْليـــهْ

أما الشاعرة "مريومة السّعدانية" فتعبّر عن حنينها وشوقها لشيخها التجاني، فتقول:[44]

قُولّي قَانيـــــــتْ يا فَارس وِشبيك ابْطيـــت
قـَداش عَدّيـــــت نِلْناها بـإذن البَـــــاري
عُمـرك مـا جْفيـــــت دَار الحُـول ونْتا مَاجيـــت
مــن بَحـــره سْقيـــت نَهـره فَايِـض جَـــاري
بْجـاه أهـــل البِيـــت والصَّحـابة والمُخْتـــاري

ويعبّر شاعر آخر عن شوقه وحنينه للشيخ عبد القادر الجيلاني فيقول :[45]

طَال الوَحش بْطُول المُـدّة	ع الّي فَاقْد غَايْبَـــــه
عبد القادر وَحْشَهْ قْـــدَّه	مِنّه كَبدي طايْبَـــــه
دُونَه بَحـر وْبَـــــرْ وْرِدَّه	مْنِ الجَّيْلانِي صايْبَــه
طال الوحش بْطول المـدّه	هــذي غِيبــه طايْلـــه
ع الشّيخ لْنَرْجى فـــي وُدَّه	عــن رَقْـاعْ المايْلـــــه
شِيخ شْريف وْطَاهـر جَـدّه	مُــولى البَرْقَـه الطَّايْلــه

6- خاتمة:

من خلال هذه الورقة البحثية بعدما تعرفنا عن مجموعة من صور الغربة والحنين في الشعر الشعبي بمنطقة وادي سوف، واستشهدت مجموعة من الشواهد يمكنني أن أستنتج مجموعة من النتائج لعل أبرزها، أن الغربة والحنين كان من أبرز الأغراض التي تكلم عنها الشاعر الشعبي بمنطقة سوف نظرا للمواقف التي تعرض لها فجعل من الشعر وسيلة للتعبير عنها، وقد عرف الشعر الشعبي بمنطقة سوف البكاء على الأطلال وبقايا النجع كصورة من صور الحنين وهذه الصورة شبيهة كثيرا بما كان في العصر الجاهلي.

واللافت للانتباه أن الشعراء الشعبيون بمنطقة سوف لم يعرفوا ما يمسى بالغربة النّفسية والفكرية وهي أحد أنواع الغربة التي يحسّها الشاعر وهو بين أهله وديارة، على عكس ما هو موجود في الشعر الفصيح الذي عرف هذا النوع من الغربة خاصة في العصر العبّاسي، إلا أن الشعر الشعبي بمنطقة سوف عرف وجود صورة جديدة من صور الغربة والحنين ألا وهي الحنين إلى شيوخ الزوايا والتعطش لقائهم.

ومما لا شك فيه أن اللغة ساعدت الشعراء الشعبيين بمنطقة سوف على التعبير عن معاناتهم مع الذكرى، وعن مشاعرهم وأحاسيسهم المفعمة بالألم والحسرة على الفراق وإبرازها في أجمل صورة من اللفظ لتوصل المعنى بكل دلالاته، كما لاحظنا في الشعر الشعبي تكرار مجموعة من الألفاظ التي تعبّر عن الغربة والحنين مثل ألفاظ "الوحش، الجفا، ريافي، الفراق، الرحيل والسّهر" وغيرها من الألفاظ الأخرى.

وقد كانت صور الغربة والحنين مفعمة بالجماليات، وهو ما يجعلنا نقف أمام التجربة الشعرية المتميزة لهؤلاء الشعراء والتي تفتح الأفاق واسعة للبحث والدراسة فيها، وفي الأخير لا أدعي أنني أحطت بالموضوع من جميع جوانبه لأنه يبقى قابل للدراسة والبحث والتحليل والأخذ والرّد، ولكنني أحسب نفسي أنني قدّمت ولو لمحة موجزة عنه.

*** قائمة المصادر والمراجع:**

* القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع.
- أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ط1، 2008، ج2.
- أحمد زغب، ديوان إبراهيم بن سمينة، الرابطة الولائية للفكر والإبداع، دط، 2004.
- ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، تح: رضوان جامع، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة.
- بن العابد النوري، التجربة النفسية في شعر نازك الملائكة، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 1980.
- بن علي محمد الصالح، من روائع الشاعر الشعبي علي عناد، دار الثقافة بالوادي، ط1، 2008.
- بوقروة عمر، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945 – 1962)، منشورات جامعة باتنة.
- التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي في الثورة (1830 – 1954)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 198.
- جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، الدار المتوسطة للنشر والتوزيع، تونس، ط 1، 2005.
- حسان الجيلاني، من التراث الغنائي بوادي سوف، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، دط، دت،
- حسن محمد حسن حماد، الاغتراب عند أبي حيان التوحيدي، دراسة فلسفية من خلال الفكر الوجودي، مجلة الفصول، القاهرة، العدد 3، 1995.
- رجب محمود، الاغتراب، منشأة المعارف المصرية، الإسكندرية، مصر، ج1، 1978.
- زهير بن أبي سلمى، الديوان، اعتنى به وشرحه حمد وطماش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005.
- الشافعي، الديوان، اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطفاوي، دار المعرفة، بيروت، 2005، ط2.
- عاشوري قمعون، ديوان العلامة إبراهيم بن عامر، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ط1، 2013.
- عباس بن مرداس السلمي، الديوان، تح: يحي الجبوري، دار الجمهورية، بغداد، العراق، 1968.

- فهمي ماهر حسين، الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، مطبعة الجبلاوي، د ت، مصر، 1970.
- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.
- نبيلة سنجاق، الشعر الشعبي ونداءات الحداثة، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، دط، دت.
- لقاء مع الراوية: عبد القادر غربي، 62 سنه، من عرش الربايع، في بيته ببلدية النخلة ولاية الوادي.

- الهوامش

[1] - جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، الدار المتوسطة للنشر والتوزيع، تونس، ط 1، 2005، مادة غرب.
[2] - المرجع نفسه، مادة غرب.
[3] - زهير بن أبي سلمى، الديوان، اعتنى به وشرحه حمد وطماش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005، ص70.
[4] - الشافعي، الديوان، اعتنى به وشرحه عبد الرحمن المصطفاوي، دار المعرفة، بيروت، 2005، ط2، ص27.
[5] - ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، تح: رضوان جامع، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 54/8 .
[6] - رجب محمود، الاغتراب، منشأة المعارف المصرية، الإسكندرية، مصر، ج1، 1978، ص43.
[7] - حسن محمد حسن حماد، الاغتراب عند أبي حيان التوحيدي، دراسة فلسفية من خلال الفكر الوجودي، مجلة الفصول، القاهرة، العدد 3، 1995، ص72.
[8] - فهمي ماهر حسين، الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث، مطبعة الجبلاوي، د ت، مصر، 1970، ص37.
[9] - بن العابد النوري، التجربة النفسية في شعر نازك الملائكة، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة، 1980، ص87.
[10] - المرجع نفسه، ص87.
[11] - المرجع نفسه، ص100.
[12] - ابن منضور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة (حنن).
[13] - المرجع نفسه، المادة نفسها.
[14] - سورة مريم، الآية (13).
[15] - بوقروة عمر، الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث (1945 – 1962)، منشورات جامعة باتنة، ص18.
[16] - الجاحظ، الحنين إلى الأوطان، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 198، ص6.
[17] - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت، ص134.
[18] - عباس بن مرداس السلمي، الديوان، تح: يحي الجبوري، دار الجمهورية، بغداد، العراق، 1968، ص31.
[19] - التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي في الثورة (1830 – 1954)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص395.

[20] - نبيلة سنجاق، الشعر الشعبي ونداءات الحداثة، الرابطة الوطنية للأدب الشعبي، دط، دت، ص133.
[21] - المرجع نفسه، ص168.
[22] - بن علي محمد الصالح، من روائع الشاعر الشعبي علي عناد، دار الثقافة بالوادي، ط1، 2008، ص110.
[23] - أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ط1، 2008، ج2، ص78.
[24] - المرجع نفسه، ج3، ص 102.
[25] - حسان الجيلاني، من التراث الغنائي بوادي سوف، دار الشهاب، باتنة، الجزائر، دط، دت، ص164 – 165.
[26] - أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، مرجع سابق، ص77.
[27] - أحمد زغب، ديوان إبراهيم بن سمينة، الرابطة الولائية للفكر والإبداع، دط، 2004، ص76.
[28] - أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، مرجع سابق، ص 78 .
[29] - المرجع نفسه، ج1، ص 102 .
[30] - أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، مرجع سابق، ص44.
[31] - أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، مرجع سابق،ج3، ص 90.
[32] - المرجع نفسه، ج 4، ص 43 .
[33] - أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، مرجع سابق، ج1، ص 75 – 76 .
[34] - عاشوري قمعون، ديوان العلامة إبراهيم بن عامر، مطبعة مزوار، الوادي، الجزائر، ط1، 2013، ص58 .
[35] - أحمد زغب، أعلام الشعر الملحون لمنطقة سوف، مرجع سابق، ج4 ، ص 110.
[36] - المرجع نفسه، ج 2، ص 34.
[37] - المرجع نفسه،ج4 ، ص 68.
[38] -المرجع نفسه، ج 2 ، ص 56 – 57 .
[39] - المرجع نفسه، ص 54 – 55 .
[40] - المرجع نفسه، ج4 ، ص 36.
[41] - المرجع نفسه، ج 2، ص 121.
[42] - المرجع نفسه، ج 4، ص 81.
[43] - المرجع نفسه، ج 2، ص 66 – 67.
[44] - المرجع نفسه، ج 2 ،ص 86.
[45] - لقاء مع الراوية: عبد القادر غربي، 62 سنه، من عرش الربايع، في بيته ببلدية النخلة ولاية الوادي.